الجذرُ (ب س ط) ومشتقاتهُ في القرآنِ الكريمِ
دراسةٌ دلاليَّةٌ

م.م. محمَّد صدام فلحي البطَّاط
وزارة التربية /مديرية تربية ميسان

The root (b s ta) and its derivatives in the Holy Qur'an
A semantic study

Asst.Lect. Muhammad Saddam Falhi Al-Battat
Ministry of Education / Maysan Education Directorate
Email: alkallaharaq@gmail.com

ملخص البحث

إنَّ دراسات الدلالة قد توسَّعت وأخذت آفاقها تتنوَّع بفضل النظريات النقديَّة الحديثة، ولكن القرآن بوصفه متنًا عابرًا لحدود النوع والجنس والثبات قد أعطى للدلالة القرآنيَّة في كنهها التعدد والتنوع ، والاتساع بما ليس يحتويه متنًا بشريًّا آخر، وها هنا يتبيَّن أنَّ عظمة كلام الخالق وغناه بما لم يحط به أصحاب العربية أهل الفصاحة والبلاغة أنفسهم.

لذا الدِراساتِ الأكاديميَّة وغيرَها قدْ تَناوَلتْ الجَّوانِبَ الدلاليةَ في النَّصِّ القُرآنيّ بِغيةَ استظهار مَكنون أسرارِ ألفاظِ القُرآنِ الكَريمِ، الغَريبِ منها والمُستَعملِ والنَّادرِ، كما فعل القُدماءُ، بأساليبَ جَديدةٍ، فجاءت البحوث إيضاحًا للدلالةِ الصَوتيَّةِ والصَرفيَّةِ ، والنَّحَويَّةِ والمُعجَميَّةِ، وبحوث أخرى تناولت التّعَدُّدَ الدِلاليَّ، و نظريةَ السِّياقِ، والبِنيَة الدَّلاليَّة.

ونتيجةً لأهميةِ هذه الدِّراسات فقد أولى الباحثونَ اعتناءً ملحوظًا فيما يخصُّ جانبَ التجديد فيها، وانطلاقًا من هذه العناية عَقدتُ العزمَ على دراسة " الجذر (ب س ط) ومشتقاته في القرآن الكريم" دراسة دلاليَّة ؛ بغيةَ النظر في وجوه معاني هذا الجذر مع مشتقَّاته أوَّلًا، ورفد الدراسات القرآنيَّة بمادةٍ تكونُ إضافة لما كان من دراساتٍ سابقةٍ لمعاني ألفاظ القرآن التي بدأ بها القدماء ولم ينتهِ البحث فيها إلى يومنا هذا.

وقد جاءت خطة البحث في مقدمة ومبحثين تليهما خاتمة للنتائج التي توصلتُ إليها ثم خاتمة للمصادر والمراجع التي استقيت منها مادة البحث؛ فالمبحث الأول في دلالة الجذر (ب س ط) وتصريفاته في المعجمات وبعض الكتب اللغويَّة ، وجاء المبحث الثاني في دلالة الجذر (ب س ط) وتصريفاته في القرآن الكريم في خمسة مطالب هي : الجذر (ب س ط) في سياق السعة والتوسع وثانيًا: (ب س ط) في سياق الإفراط والتفريط ، وثالثًا: (ب س ط) في سياق التجدد والزيادة ، ورابعًا : (ب س ط) في سياق الشِّدة ، وخامسًا: (ب س ط) في الثبوت، وخاتمة البحث مع ثبت المصادر والمراجع.

الكلمات المفتاحيَّة: علم الدلالة ، الجذر (ب س ط) ، الدلالة القرآنيَّة ، السِّياق .

Abstract

The studies of semantics have expanded and their horizons have diversified thanks to modern critical theories but the Qur'an as a text that crosses the boundaries of gender gender and stability has given the Qur'anic significance in its content plurality diversity and breadth with what is not contained in another human text and here it becomes clear that the greatness of the words of the Creator did not detract from it. The owners of Arabic the people of eloquence and eloquence themselves.

As a result of the importance of these studies the researchers paid noticeable attention to the aspect of renewal in them and based on this importance I resolved to study the "root (b s) and its derivatives in the Holy Qur'an" with a semantic study in order to consider the faces of the meanings of this root with its derivatives first and supplement Qur'anic studies with a subject that is in addition to the previous studies of the meanings of the Qur'anic words that the ancients started with and the research has not ended to this day.

The research plan came in an introduction and two chapters followed by a conclusion of the results that I reached

and then a conclusion of the sources and references from which I derived the research material. The first topic is in the meaning of the root (B S T) and its conjugations in dictionaries and linguistic books. The second topic came in the significance of the root (B S T) and its conjugations in the Holy Qur'an in five axes: Root (b x i) in the context of amplitude and expansion. And secondly: (b o i) in the context of excess and negligence. And third: (B s i) in the context of renewal and increase. And fourth: (B s i) in the context of distress. Fifthly: (B S T) in the evidence and the conclusion of the research with proven sources and references.

Keywords : Semantics, root (ba s ta), Quranic significance, context.

المقدِّمة:

بسمِ اللهِ الدالِّ على ذاتِهِ بذاتِه، والحَمدُ له على ما أغدق علينا من نعمه وخيراته، وصلاته وسلامه على خير مَن خلقَ وأبدع مِن مخلوقاته، نبيِّه محمَّد وعلى آله بيته تحيته وسلامه ووافر بركاته.

وبعد...

فعموم الدِراساتِ تَناوَلتْ القرآن الكريم بوصفه النص السماوي المُعجِز؛ بغيةً توضيح مكمن الإعجاز ، والوقوف عليه وبيان اختلافه عن السائد من المكتوب الشعري والنثري، فجاءت الدراسات المُظهِرة والمُبيِّنة للجَّوانِبَ الدلاليةَ في النَّصِّ القُرآنيّ الغَريبِ منها والمُستَعملِ والنَّادرِ، فكان بعضها إيضاحًا للدلالة الصَوتيَّةِ والصَرفيَّةِ ، والنَّحَويَّةِ والمُعجَميَّةِ، وبعضها الآخر في بيان التّعَدُّدَ الدِلاليَّ، و نظريةَ السِّياقِ، والبِنية الدَّلاليَّة.

فدراسة " الجذر (ب س ط) ومشتقاته في القرآن الكريم" دراسة دلاليَّة، هو بحث قد اختير بعنايةٍ ودقَّة؛ بغيةَ النظر في وجوه معاني هذا الجذر مع مشتقَّاته في بطون المُعجمات أوَّلًا، ورفد الدراسات القرآنيَّة بمادةٍ تكونُ إضافة لما كان من دراساتٍ سابقةٍ لمعاني ألفاظ القرآن التي بدأ بها القدماء واستمر عليها المُحدثون رفدًا للمكتبة القرآنيَّة.

ونظرًا لتعدّد دراسات الجذر بعامّة في السنوات الأخيرة ، فقد وجَدتُ العديد من البحوث التي تناولت المفردات الأولى من العنوان، إلَّا أنَّني لم أعثرْ على دراسةٍ مُشابهةٍ تتضمَّن البحث في الجذر ذاته.

فوضعتُ خطةً تشتمل على التأصيل للجذر اللغويّ في اللغة والاصطلاح ولأجعلها مبحثًا بالرغم من قصر المادة ؛ لأنَّها مادةٌ مهمةٌ وهي أساس البحث، وفي المبحث الثاني سيكون إيراد معاني الجذر ومشتقاته مِن كتب التفسير المُعتبرة ، وذيّلتُ البحثَ بخاتمةٍ تُلَخِص البحث أتبعتها بقائمةٍ للمصادر والمراجع.

وقد اعتمدت في المادة اللغويَّة والاصطلاحيَّة الترتيب الزمنيّ في حين تركت ذلك في المبحث الثاني ؛ لاعتماد التفسير على المعاني التي خرجت إليها مُشتقَّات الجذر، ووضَّحتُ في الخاتمة ما توصَّل إليه البحثُ مِن نتائج بشكلٍ موجز، في حين رتَّبتُ المصادر والمراجع حسب التسلسل الهجائيّ.

المبحث الأوَّل

دلالة الجذر (ب س ط) وتصريفاته في المعجمات والكتب اللغوية

حقيقة لا يمكن أن نذهب في معرفة أيِّ مصطلحٍ ما إلَّا بالتعريجِ على المنظومة اللغويَّة لبيان الأصل الاشتقاقيّ الذي اشتقّ منه، سواء أكان المصطلح عربيًّا أصيلًا أم كان مستوردًا ومترجمًا، فكلا الحالتين في التأصيل ، أو التعريب نحتاج للمدوَّنة اللغويَّة ، وهذا لا يمكن إلَّا بالذهاب إلى الأصول التي وضعها اللُّغويون القدماء ، والمحدثون لبيان مدى تطابق الدلالة والصيغة المصطلحيَّة التي استقرَّ عليها المصطلح نفسه.

فكيف وردت دلالة الجذر (ب س ط) في المعجمات؟ وهل اختلفت الدلالة منه وفاقًا للآيات التي وردت فيها؟ وهل اختلف أصحاب المعجمات أنفسهم في التغاير الدلالي نفسه

وردت دلالة اللفظة على النشر ومعانٍ أخرى كما في مُعجم العين فقد ذُكِرَ:

(بَسَطَهَ) يبْسُطُه بَسْطًا: (نَشَرَهَ).

وبَسَطَه: ضدَّ قَبَضَه.

وبَسَطَ (فُلانًا: سَرَّهُ)، ومنه حديث الزهراء فاطمة "عليها السلام""يَبْسُطُنِي ما يَبْسُطُها"، أي يَسُرُّني ما يَسُرُّها[1].

فدلالات معجم العين التي وردت تدلُّ على ثلاث مظان رئيسة هي: النشر والانتشار والتفريق ، وما يدور حولها من المعاني التي تتفرَّق منها تبعًا للسياق النحوي الذي تنتظم فيه المفردة مع الجملة الموضوعة فيها، وهو ما عُدَّ سابقًا كمبحث بعينه في نظرية النظم عند

(١)كتابُ العين، مادة بسط ، ١/ ١٣٩.

الإمام عبد القاهر الجرجاني في كتابه دلائل الإعجاز[١].

وذكر ابن فارس في معجمه ما تدلُّ معانيه على السهولة والسعة والسعادة وهو ما يدلَّنا عليه قوله :

بسط: البَسْطُ : نقيض القَبْض.

والبَسيطةُ من الأرض كالبساط من المتَاع، وجمعه بُسُط.

والبَسْطةُ: الفضيلة على غيرك، قال الله جل وعزَّ: ﴿ وزاده بَسْطةً في العِلْمِ والجِسْم﴾[٢].

والبَسيط: الرجلُ المُنبَسِطُ اللسان، والمَرأة بسيطةٌ، وقد بَسُطَ بَساطةً والصاد لغةٌ.

وبَسَطَ إلينا فلانٌ يَدَهُ بما نُحَبُّ ونكرهُ ، وإنَّهُ ليَبْسُطني ما بَسَطَكَ ويَقبضني ما قَبَضَكَ أي يَسُرُّني ما سَرَّكَ ويَسُوءُني ما ساءَكَ"[٣].

وذكر الزمخشريُّ "البسط" في أساس البلاغة، وقال: "هو الأصل وما عداه يتفرَّع عنه"[٤]. "[٥] ، أي هو المعنى الكلّي الذي يحمل ماهية الأشياء وكنهها فيكون هو الأصل الذي تتفرع عنه الدلالات الأخرى.

وحدَّه ابن منظور في لسان العرب في معانٍ عدة منها : ما اختصَّ بلفظ الجلالة وأسمائه الحسنى بقوله: بسط: في أسماء الله تعالى: الباسِطُ، هو الذي يَبْسُطُ الرزق لعباده ، ويوسّعه عليهم بجُوده ورحمته ويبسُط الأرواح في الأجساد عند الحياة.

وبَسَطَ الشيءَ: نشره، وبالصاد أيضًا.

(١)دلائل الإعجاز في علم المعاني المؤلف ، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي الأصل، الجرجاني الدار (ت: ٤٧١هـ) ، المحقق محمود محمد شاكر أبو فهر، الناشر مطبعة المدني، القاهرة، ط٣، ١٩٩٢م، ٣٩١ وما بعدها.

(٢) سورة البقرة ، الآية : ٢٤٧.

(٣) ينظر: معجم مقاييس اللغة، لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا (ت:٣٩٥هـ)، تح عبد السلام محمّد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م، ١/ ١٣٩، مادة بسط.

(٤) أساس البلاغة ، لأبي القاسم جار الله محمود بن عمر بن أحمد الزمخشري (ت: ٥٣٨هـ)، تح محمد باسل عيون السّود، دار الكتب العالمية ، بيروت-لبنان، ١/ ٦٠، مادة بسط.

(٥) المصدر نفسه، مادة بسط ، ٦٠.

وبَسْطَ العذرَ: قبوله.

والبسيطُ جِنْس من العرَوضِ سمي به؛ لانبِساط أسبابه.

وأُذنٌ بَسْطاء: عريضة عَظيمة.

وانبسطَ النهار امتدَّ"، والانبِساطُ: ترك الاحْتِشام، والبَسْطَةُ: السِّعَةُ [١].

فتعَّدت دلالات البسط بتعدد الاستعمالات التي تدخل المفردة حينئذٍ في سياقها الكتابي.

وذُكِرَ ذلك في تاج العروس لقوله تعالى: ﴿يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشاءُ﴾ [٢]، وقال المصنِّف " أي (يُوَسِّعُه).

وبَسْطُ: اليدِ والكفِّ، تارةً تُستعمل للآخذ كقوله تعالى: ﴿والملائِكةُ باسِطُو أَيْدِيهِم﴾ [٣]،أي مُسَلَّطون عليهم.

وتارةً يُستعمل للطلب، كقوله تعالى: ﴿كَبَاسِطِ كَفَّيْهِ إِلى الماءَ لِيَبْلُغَ فَاهُ﴾ [٤]، أي كالدَّاعي الماءَ يُومئ إليه ليُجيبهُ.

وتارةُ يُستعمل للضرب، نحو قوله تعالى: ﴿ يَبْسُطُوا إِليكم أَيْدِيَهُم وأَلْسِنَتُهم بالسُّوء﴾ [٥].

وتارةً يُستعمل للبذل والعطاء، كقوله تعالى: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَان﴾ [٦]"[٧].

وإنَّ إيراد المعاني السابقة لمْ يَكُنْ عفوَ الخاطرِ، على الرغم من التشابه في بعض المعاني التي سِيقَتْ للدلالة على اللفظ.

(١) لسان العرب، لابن منظور(ت:٧١١هـ)، تحقيق وتصحيح نخبة من الاساتذة، دار المعارف، كورنيش النيل– لقاهرة، مادة بسط ، ٢٠١٠ ، ٢٨٣

(٢) سورة الرعد ، الآية : ٢٦.

(٣) سورة الأنعام ، من الآية : ٩٣.

(٤) سورة الرعد ، الآية : ١٤.

(٥) سورة المُمتحنة ، الآية : ٢.

(٦) سورة المائدة ، الآية : ٦٤.

(٧) تاج العروس من جواهر القاموس ، للسيِّد محمَّد مرتضى الحسينيّ الزبيديّ(ت:١٢٠٥هـ)، تح عبد العليم الطحاوي، مكتبة حكومة الكويت، (د.ط)، (د.ت)، ١٩ / ١٤٤ ، مادة بسط.

أمّا اصطلاحًا:

فلم يُصطلح على معاني هذا الجذر باصطلاحٍ جامعٍ مانع يستوفي جوانب اللفظ وهذا أمر بدهي؛ لأنَّ حصرَ جميع الجذور وتقعيدها ، ووضع معاني اصطلاحيَّة في المنظورالقرآني لم يُخرج به عالم، أو متتبِّع ، وهو سبب من أسباب الإعجاز القرآنيّ ؛ لتنوعه وغناه وتعدُّد دلالته وخفاء أسراره حيث الكثير مِن الآيات تحتاج الجنبة التأويليَّة لقوله تعالى ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾[1].

وبالرجوع لمصادر التفسير والكتب المُعتبرة التي ذكرت معاني ألفاظ القرآن وتفسير آياته، نجد أنَّ معنى البسط وما اشتق منها دلَّ كلٌّ مِنها على معاني كان أشرفها وأعظمها هو نقيض القبض، وهو السعة، ونذهب إلى بيان ذلك قرآنيًّا فالله سبحانه يقول: ﴿لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ﴾[2] ، وفي سورة أخرى يقول: ﴿وَاللهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ﴾[3].

وإنَّ تغليب المعنى الأوسع استعمالًا هو المراد هنا، وهو أنَّ الله أراد أن يكون عباده باسطي المعروف والإحسان والخير، ويقتلعوا جذور الغلّ والحسد، ويتناهوا عن التمادي ويرجعوا إلى رشدهم، بما أمرهم الله به.

المبحث الثاني

دلالة الجذر (ب س ط) وتصريفاته في القرآن الكريم :

إنَّ استعمالات الألفاظ في القرآن الكريم هي عينها استعمالات اللغة العربيَّة، لكنَّ طريقة استعمال اللفظ في القرآن في إطارٍ معينٍ ، وفي سياقٍ مُحدَّدٍ أخرج تلك الألفاظ من معجميتها للدلالة على معاني أكثر دقة في بعض الأحيان ، وأكثر شمولية في أحيان أخرى، وكلُّ ذلك كان مِن لدن عليم خبير، كأداة إعجازيَّة تُبيِّن قدرة بني آدم المحدودة، وبالرغم من تلك المحدوديَّة أمام القدرة اللامتناهية نرى أنَّ العرب لم ينتهوا عن كفرانهم وجحودهم

(١) سورة ال عمران، من الآية : ٧.
(٢) سورة الطلاق، الآية : ٧.
(٣) سورة البقرة ، الآية : ٢٤٦ .

بالحقِّ لمّا جاءهم على رجلٍ منهم.

فكان القرآن الكريم لسان الله الناطق عن طريق رسوله فيما أتاه من الوحي المبين، يهدي الناس وينبِّئهم وينذرهم ويحذرهم من اتباع طريق الغي، والضلالة، والانحراف عن الفطرة التي فطرهم اللهُ عليها.

والعربيَّةُ بما تحويه بين جنبيها من ضروب الفن والبيان وقفت صاغرةً أمام استعمال القرآن لألفاظها، فكأنَّ دلالات الفعل، والاسم، والحرف التي جاء بها القرآن غريبةٌ عن العرب؛ لأنَّها جاءت بسياقات لم يألفها العرب في بعض آيات القرآن، ولو لاحظنا قول سيبويه عن الفعل " وأمَّا الفعل فأمثلة أُخذت من لفظ أحداث الأسماء وبُنيت لما مضى"[1] وقالَ عَن دلالات الأفعال: " اعلمْ أنَّ أسبق الأفعال في التقديم الفعل المستقبل؛ لأنَّ الشيء لم يكن ثم كان، والعدم سابق للوجود، فهو في التقديم مُنتظر، ثم يصير في الحال ثم ماضيًا فيُخبر عنه بالمضي، فأسبق الأفعال في المرتبة المُستقبل، ثم فعل الحال، ثم الماضي[2]، وبالرغم من أنَّ قريش أفصح العرب إلَّا أنَّها لم تفك شفرات استعمالات القرآن ، ولا مَن تبعها فعل ذلك إلى يومنا هذا؛ لأنَّ تقعيد القرآن وفاقًا لقواعد اللغة بات ضربًا من المحال إن كان المراد جعل اللغة هي الأساس، فما وضعه البشر ناقصٌ في كلِّ حالٍ، ولابدَّ لطالب الحقيقة أن يتقصّاها في مظانّها، وعلى الرغم من قول سيبويه السابق وما قبله، إلَّا أنَّ الفعل المضارع الذي ورد في القرآن لم يكن مُحدَّد بمستقبلية الحدوث فقط، بل شمل الحدوث الماضي والحاضر.

وبعبارة أخرى فإنَّ الأفعال في الجمل القرآنيَّة تدلُّ دلالتين مختلفتين، فالفعل الماضي مع الاحتفاظ بدلالة المضي، نراه مُتجدِّد الحدوث، وكذلك المضارع منه، فهو مضارعٌ فيما دلَّ عليه الحال، وماضٍ فيما جرى عليه الوقوع وللإيضاح أكثر سنورد الفعل "بسطَ" بدلالة

(١)) الكتاب ، عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي بالولاء، سيبويه (ت: ١٨٠هـ) المحقِّق عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٣، ١٩٨٨م ، ١/ ١٢.

(٢)) الإيضاح في عِلل النحو، لأبي القاسم الزجاجي (ت:٣٣٧هـ)، تح مازن المبارك، دار النفائس، ط٣، بيروت، ٨٥.

الماضي مع قرينة الرزق، فالله قد بسط الرزق لعباده فيما مضى، وهو متعلِّقٌ بالحدوث في الحاضر وبهذا فإنَّ دلالة كلُّ فعلٍ ليست ثابتة بحالٍ من الأحوال[1].

ولمّا كان الجذر هو الصيغة الأشمل التي عنها تتفرَّع مشتقَّات ومنها يتسع الكلام ، فسنُبيِّن دلالات الجذر (ب س ط) حسب ما ورد في الآيات القرآنيَّة مع ما فيها من معاني عامَّة ، وبعض المعاني الخاصَّة، وهي كما يلي:

أوَّلًا: (ب س ط) في سياق السعة والتوسع:

من المضامين التي يحملها الجذر (ب س ط) بمختلف ألفاظها الدالة عليها وهي لم تخرج بعيدًا عن الدلالة اللغويَّة للفظة، فالسعة فيها تتأتى من انبساط الأرض وما سواها ووسعها، ولهذا أمر الله عباده إن ضاقت بهم الأرض أن يهاجروا فقال عزَّ وجلَّ: ﴿قَالُوٓا۟ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا﴾ [سورة النِّسَاءِ:٩٧]، ويوضح ذلك أيضًا قوله تعالى: ﴿وَمَن يُهَاجِرْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدْ فِى ٱلْأَرْضِ مُرْغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً﴾ [سورة النِّسَاءِ: ١٠٠]، فالله هو الباسط وهو الموسع؛ إذ إنَّ الاسمين دلَّا دلالةً واضحةً على ما تشير إليه المعاني الدالَّة عليها، ومِن هنا وردت الآيات حاملة معنى السعة والتوسع وهي في ضروب منها:

في الرزق:

فجاء في القرآن الكريم قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَٱللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُۜطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [سورة البَقَرَةِ :٢٤٥]، وقرأتْ بالصاد أيضًا على الأشهر في القراءات الأخرى.[2].

وأشير في تفسير هذه الآية إلى أنَّ الله يقبض الرزق عن أقوام فيُقتِّر عليهم ، ويبسط الرزق على أقوام بأن يوسِّع عليهم ، وقيل إنَّ معنى البسط: الصدقات، ويبسط أجزاءً عليها[3]،

(١) ينظر: الإيضاح ، ٨٧.

(٢) ينظر: مجمع البيان في تفسير القرآن ، لأبي علي الفضل الحسن الطبرسّي، تحقيق لجنة من العلماء، مؤسسة الأعلميّ، بيروت-لبنان ، ٢/ ١٣٥.

(٣) ينظر: المصدر نفسه ، ١٣٧.

وقال مثله الرازيُّ وأضاف" يقبض الصدقة ويبسط ويخلف"[1]، وذُكرَ أيضًا أنَّ معناها "أنفقوا ولا تبالوا فالله هو الرزاق يضيق على مَن يشاء في الرزق ويوسع على آخرين"[2]

وجاء قوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [سورة الأعراف:٦٩]، مشيرًا إلى معنى آخر من معاني البسط وهو: الانفتاح والإغداق والكرم، وهو الفيض الإلهي الذي ينساب على عباده دون استثناء، وجاءت الآية لتعنيت اليهود ودحض قولهم بأنَّ يدَهُ عزَّ وجلَّ مغلولةٌ، فكان الجواب تغليبًا على الضعيف من القول والواهن من الرمي، فكيف يريد اليهود من بعد أن أنكروا المعاجز أن يجابوا!

فالله هو الموسع في الرزق وهو العليم بعباده يغدقُ عليهم كيفَ يشاء ويمنع عنهم أنى يشاء، وقد أشار الله سبحانه في آية أخرى بقوله: ﴿ لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ﴾[سورة الطَّلَاقِ: ٧] ، ولو لاحظنا دلالة الجذر في مشتقَّاته لوجدنا تغيرًا ملموسًا من جانب المعنى الذي يتلقَّاه السامع، مع تنقّل المعنى مِن المحسوس إلى المعنوي المتخيل في الذهن، وليس هذا فحسب بل أنَّ دلالة الثبوت والاستقرار تختلف من الفعل إلى الاسم ومن فعل لآخر ومن اسمٍ لآخر كذلك.

فتقيد اللفظ بزمن يحول دون كسره إلَّا أن تدخل عليه أداة تحول صيغة الفعل إلى زمنٍ آخر، كما نرى في الفعل المضارع، فلو جئنا بالفعل " يَبْسُطُ" الدال على الحال والاستقبال وأدخلنا عليه (لم) وهي أداة نفي وجزم وقلب، لكانت الصيغة (لم يَبْسُطْ) فتحوَّل هاهنا المعنى إلى الماضي، وكذلك في الماضي "بَسَطَ" فلو سُبِقَ بـ(إن) فستكون الصيغة دالةً على مستقبل لم يكن، كقولنا: إنْ بَسَطْتَ يدكَ فسيباركُ الله في رزقِكَ.

(١) تفسير القرآن العظيم ، الرازي ابن أبي حاتم (ت:٣٢٧هـ)، تح أسعد محمّد الطيب، مكتبة نزار مصطفى الباز، مكة المكرمة– الرياض، ٤٦٢.

(٢) تفسير القرآن العظيم ، للإمام عماد الدين ابن كثير الدمشقي (ت ٧٧٤هـ)، مجموعة من أساتذة التحقيق، مؤسسة قرطبة، مج١/ ٤١٩.

في التفكير والعلم:

إذ أنَّ الله فضلَّ العلم الذي ينتجه العلم على سائر الاعمال وقرن العلم بالعمل، ولزمَ أن يكون العملُ صالحًا ليكونَ متقبَّلًا، ومن هنا جاء تفضيله، وقد جعلَ الله زكاته النشر؛ إذ هو من مصاديق السعة والتوسع، فقد رُويَ عن النبي الأكرم ﷺ أنَّه قال: ((زَكاةُ العِلمِ نَشْرُهُ))[1].

وقد أشار الله إلى تفضيل الأنبياء على مَن سواهم من البشر من أقوامهم أنَّهم أولوا علم على أنَّ لهم في ذلك العلم درجات، وفي قوله تعالى: ﴿قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ وَٱللَّهُ يُؤْتِى مُلْكَهُۥ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾[سورة البَقَرَة:٢٤٧]، وضَّح الله تعالى أنَّ عباده المنتخبينَ هم من يمشون على الأرض هونًا ، وهم العالمون الناشرون لدين الله والسائرون على هديه، وقد استوثق طالوت بهذه الوثاقة العلميَّة ففضله الله على قومه، وفي تفسير الآية اتفقت الآراء على أنَّ البسطةَ هي الفضيلة[2]، وأشار صاحب الميزان إلى أنَّ الاعتراض على أنَّه لم يؤتَ سعةً من المال ، ولا شرف البيت جعل المزيَّةَ تكون بما يمتلكه هو وما فضَّله الله به عمَّن سواه[3]

في المعاملة:

إنَّ تعامل الناس فيما بينهم لو كان خاليًا من العقل لهام كلٌّ في وادٍ، ولقتلَ الناسُ بعضهم، لكنَّ الله جعلَ موجههم ذلك التفكير الذي يسلمهم إلى تحكيم العقل في المسائل جميعها، إذ أشار الله في كتابه قائلًا: ﴿وَاذْكُرُوٓاْ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِى ٱلْخَلْقِ بَصْۜطَةً﴾ [سورة الاعراف:٦٠]، فأراد الله من عباده أن يتعضوا ممَّا كان ويستهدوا أنفسهم ، ويسلكوا طريق الهداية، فذكر الأندلسي في تفسيره أنَّ البسط يحمل معنى الامتداد

(١) غُرَرُ الحِكم و دُرَرُ الكلِم ، الشيخ عبد الواحد بن محمد التميمي الآمدي(ت: ٥١٠هـ)، تح عبد الحسن دهيني، دار الهادي، بيروت-لبنان ، ١٦/ ٢٢٢.

(٢) ينظر: مجمع البيان، ٢/ ١٤١ ، و تفسير القرآن العظيم ، مج١/ ٤٦٦.

(٣) ينظر: الميزان في تفسير القرآن ، للسيِّد محمّد حسين الطباطبائي، تح الشيخ إياد باقر سلمان، تحقيق: السيِّد كمال الحيدريّ، مؤسسة التاريخ العربي، مؤسسة إحياء التراث العربي، بيروت-لبنان، ٢/ ٢٤٤.

والطول والجمال في الصور والأشكال[1]، سواء البسط في الخلق عمرًا أو طولاً ، أو مكانةً فهي تدخل ضمن ما أمدّ الله به عباده، وبالرغم من أنّ الآية تحمل معنى التوسع سواء كان زمانيًّا أو مكانيًّا، لكنَّه أُريدَ منه الذكرى بعد أنْ عرفَوا نعم الله وآلاءه.

ثانيًا: (ب س ط) في سياق الإفراط والتفريط.

إنَّ الجنوح عَن الصواب ناتج عن عدم فهم المرء ما يتطلبه المقام، فالإفراط في البسط أو القبض لا طائلَ منه إن لم يكن ذا منفعة ، والإنسان بطبيعته يخشى مِن الإفراط سواء أكان في استعمال المال أو القوة ، أو المكانة وحتَّى العلوم المدّخرة، وتسخيرها لغايات ليست شريفة ونرى ذلك في قول موسى وهارون ﷺ إذ أشار القرآن الكريم لقولهما: ﴿قَالَا رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَآ أَوْ أَن يَطْغَىٰ﴾ [سورة طه:٤٥]، فأيّ إفراط يخشاه موسى وهارون غير يد فرعون إذا بسطها، إذ إنَّ يدَهُ قوتُه المتمثلة بجندِه المؤتمرين بأمره الذين يمثلون جيشًا لا طاقةَ لموسى وأخيه على دفعِهِ أو مواجهته، فكان ما يخشاه موسى وهارون طغيانه على الله وتعديه وأن يعجل بذلك[2].

وبين الإفراط والتقتير يقع التوسط الأمور، وهو ما دعا إليه الله سبحانه وتعالى وأراد لنبيه أن يسلكه فقال : ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا﴾[سورة الإسرَاءِ٢٩]، والتوسط في العطاء لدى الكريم محمود، فلو أسرف المرء لخرج عن العقل في فعله، والله نهى عن الإسراف في كلِّ شيءٍ حتَّى في القتل، والإسراف من مضامين البسط كما سيأتي.

ولو تمعنّا في استعمالات مشتقات الجذر لوجدنا تمازجًا لطيفًا بين ما دلّ على الحدوث والتجدد ، وما دلَّ على الثبوت والاستمرار فالنهي في الآية لم يكن عن البسط من حيث هو، بل كان لمتعلقه وهو الأدق، فالمُراد التوسط في مرتبة عالية، وكأنَّ مستويات العطاء كان غايتها البسط ، وغاية البسط كلّ البسط ، وهو ما لزمَ على النبي تركُهُ.

(١) ينظر: البحر المحيط في التفسير، لمحمَّد بن يوسف أبي حيّان الاندلسي (ت:٧٤٥هـ)، تح مجموعة من المحقِّقين، دار الكتب العلمية، لبنان، ط١، ١/ ٢١٢.
(٢) ينظر: تفسير القرآن العظيم ، الرازي ، مج١/ ٢٤٢٤.

ثالثًا: (ب س ط) في سياق التجدد والزيادة :

لو أراد الله رزقَ عباده لأشار بفعل مضارع كقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [سورة النور:٣٨]، وقد كان ذلك في تكرار ما اشتق من الجذر بصيغة "يَبْسُطُ" التي جاءت في القرآن مكررةً تسعَ مراتٍ، في سورٍ مختلفةٍ وبالرغم من حمل الفعل دلالة التجدد، وتضمنها التوسع والزيادة إلَّا أنَّها دلَّت على أنَّ البسط غير منقطع ومتجدِّد، بحدثٍ مستمرٍ حاضرًا ومستقبلًا، وجاءت الآيات بحسب ترتب السور في المصحف مع مؤكداتٍ لهذا التجديد كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا﴾ [سورة الإسراء:٣٠]، فكانت الآيات المؤكّدة خمس آياتٍ، وترك التوكيد في قوله تعالى: ﴿اللهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ إِنَّ اللهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [سورة العنكبوت:٦٢]، وغيرها من آيات البسط في الرزق التي تكلَّم فيها بالفعل المضارع بصيغته الأصلية دون زيادة.

رابعًا: (ب س ط) في سياق الشِّدة :

القرآنُ المُعجزُ في بلاغته، الرائق في نظمه يُعجب غير المسلمين ويُعجِّزهم، وكذلك فعل مع العرب قبلًا، وإلى يومنا هذا.

ومن لطائف إعجازه النظم، وجمال السبك، والتوليف بين المعاني باستعمال ألفاظ مستعملة؛ لإظهار معاني في غاية البيان والرقي والروعة، ففي الجذر بسط تعرفنا إلى دلالة الفعل المضارع الدال على السعة والتجدد وغيرها، ولم نذكر هناك شدّة في معاني السعة والتجديد؛ ليكون لكلِّ مقامٍ مقالٌ، وهنا نورد قوله تعالى على لسان هابيل: ﴿لَئِن بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِى مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِىَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ﴾ [سورة المَائدَة:٢٨]، إذ لا نرى معنى السماحة والعطاء ، أو أيّ معنى آخر ممَّا سبقَ ذكرُهُ، بل أنَّ هذا البسط فيه ترصّد وكيد، وعلمٌ وتوعّد، ودلَّ على ذلك بُعْدُ الزمن عن زمن التكلم المصحوب بإرادة القتل، أما باسط فهي على النقيض من بسطَ فهي تحمل كلَّ دلالات الرضا النفسيّ والاطمئنان الروحيّ، فلعِلم القائل ورسوخ الكلام في قلبه ، وليس في لسانه فحسب جعله يستعمل لفظًا أكثر رسوخًا

وثباتًا لما أراد التعبير عنه.

وفي مقام آخر قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا ٱذْكُرُوا نِعْمَتَ ٱللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُوٓا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ﴾ [سورة المَائِدَةِ:١١] فليس البسط هنا إلَّا كما جاء في الاشتقاق الأوَّل من الآية السابقة، لكنَّ الفرق هنا هو استعمال المضارع وهو محركٌ من ضمائر الباسطين ونواياهم، في إرادة السوء والمكر بالمسلمين.

خامسًا: (ب س ط) في الثبوت :

لقد ورد في ما سبق بعض مشتقات الجذر الدالَّة على الثبوت ضمن آيات أخرى، بيدَ أنَّنا سنلقي الضوء الآن على ما استقرّ من المشتقات على الثبوت والرسوخ، فإنَّ ورود كلمة (بسطة) و (باسط) و(بساط)، تدلُّ كلٌّ مِنها على معنى في ذاتها، ومعنى عام وهو الثبوت بما يحمله الاسم من هذه الصفة.

جاء في قصة أصحاب الكهف قوله تعالى: ﴿وَكَلْبُهُم بَٰسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ﴾ [سورة الكَهفِ:١٨]، لطول بقاء الكلب في فضاء الكهف المفتوح مستلقيًا على الأرض كأنَّه ميّت، وقوله تعالى: ﴿وَاللهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطاً﴾ [سورة نوح:١٩].

وهكذا تعدَّدت الدلالات وتنوَّعت بما قدمناه من أفكار وصور تلمسنا حقيقة وجودها من النص القرآني تارة، وتارة أخرى من المفسرين للنص القرآني، وتارة ثالثة وهي التي عليها المعوَّل هي ممَّا جاءت به الدلالة اللغويَّة المعجميَّة ، وهو ما تضمَّنه علم الدلالة الذي يبحث في تأويلات القول، ومقاصد الخطاب، وحيثيات الجمل وسياقتها التي جاءت بها.

الخاتمة:

قامت فكرة البحث في علم الدلالة ومعطيات الخطابات اللغوية التداولية ، في نصوصها الأولى واهتمامها بطاقة المفردة التي تجيء بسياقات متعدِّدة ومتنوِّعة ، حاملة مجموعة من المدلولات تبعًا للسياق الذي جاءت فيه.

إنَّ دلالة البسط جاءت على معاني تباينت بين السهولة والسعة ، وبين الخشونة والتوعد،

وفي كلا الأمرين نرى أنّ المعاني تخرج بين ثلاث ثوابت ألَّا وهي:

الباث ، والمستقبل ، والأداة وقد يختصر الأمر على الباث والمتلقي، أي بين الخطاطة التواصلية التي قدَّمها رومان ياكبسون ما بين (المرسل، الرسالة، المرسل إليه) ، وما يتبعهما من وظائف أُخر.

فالله جلَّ وعلا عندما يبسط الرزق يكون هو الباث ، والإنسان متلقٍ ، والأداة (الرسالة والقناة) مختلفة، وقد يكون الباث هو الإنسان والأداة تتعدَّد كما في الآيات آنفة الذكر، إذ جاءت فيها الألفاظ (ألسنتهم، أيديهم، يدك)، وهي أدوات كانت لتهديد ووعيد لمتلقٍ واحد وهو الآخر كيف كان وأنى كان.

إذًا فورود مشتقَّات الجذر "بسط" لم تكن بمعنى واحد ودلالة واحدة، وكيفية واحدة، إذ حملت بين حروفها وما جاءت فيها مِن سياقات متعدِّدة معاني جليلة وعظيمة، تنقَّلت بين البساطة والسماحة والعطاء والخير، وبين الوعد والكيد والمكر وقصد السوء.

ولم يقتصر الأمر على ورود الدلالة بالإطار الثابت بما تنقله الألفاظ الواقعة على سياق الجملة الإسميَّة، بل جاءت الألفاظ بصيغة الفعلين الماضي والمضارع، مع ما يحملان من معاني متجددة كون الفعلين اقترنا بالذات الإلهية في معظم الآيات.

فالماضي "بسط" عندما يقترن بالذات الإلهية فهو يدلُّ دلالتين، حقيقية واقعة فيما مضى باعتبار الحادثة، أي موضوع الآية التي قيل لها، وموضوعة التجدد التي هي غير منقطعة، فالله مثلًا قد بسطَ الرزق، وهو باسط ورزقه مبسوط، وهو ذاته يبسط الرزق، فالمعنى لا يتوقف حتى مع دلالة الثبوت أو المضي.

وختامًا أرجو أن أكون قد كتبتُ خيرًا يُنْتَفَعُ به، وما التوفيق إلَّا بالله العلي العظيم.

المصادر والمراجع

١. القرآن الكريم

٢. أساس البلاغة ، لأبي القاسم جار الله محمود بن عمر بن أحمد الزمخشري (٥٣٨هـ)، تح محمد باسل عيون السّود، دار الكتب العالمية ، بيروت-لبنان.

٣. الإيضاح في علل النحو ، لأبي القاسم الزجاجي (ت:٣٣٧هـ)، تح مازن المبارك، دار النفائس، ط٣، بيروت.

٤. البحر المحيط في التفسير ، لمحمد بي يوسف أبي حيّان الاندلسي (ت:٧٤٥هـ)، تح مجموعة من المحققين، دار الكتب العلمية ، ط١، بيروت-لبنان.

٥. تاج العروس من جواهر القاموس، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى الزَّبيدي (ت: ١٢٠٥هـ) ، المحقِّق مجموعة من المحققين، الناشر دار الهداية.

٦. تفسير القرآن العظيم ، ابن إدريس الرازي ابن أبي حاتم (ت:٣٢٧هـ)، تح أسعد محمّد الطيب، تفسير القرآن العظيم ، للإمام عماد الدين ابن كثير الدمشقي (ت ٧٧٤هـ)، تح مجموعة من أساتذة التحقيق، مؤسسة قرطبة، ط١، د.ت.

٧. دلائل الإعجاز في علم المعاني المؤلف ، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي الأصل، الجرجاني الدار (ت: ٤٧١هـ) ، المحقق محمود محمد شاكر أبو فهر، الناشر مطبعة المدني، القاهرة، ط٣، ١٩٩٢م.

٨. غُرَرُ الحِكم و دُرَرُ الكلِم ، الشيخ عبد الواحد بن محمد التميمي الآمدي(ت: ٥١٠هـ)، تح عبد الحسن دهيني، دار الهادي، بيروت-لبنان.

٩. كتاب العين ، للخليل بن أحمد الفراهيدي (ت:١٧٠هـ)، تح الدكتور عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العالمية، بيروت-لبنان.

١٠. الكتاب ، عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي بالولاء، أبو بشر، الملقب سيبويه (المتوفى: ١٨٠هـ) المحقق عبد السلام محمد هارون ، الناشر مكتبة الخانجي، القاهرة ، الطبعة الثالثة، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م

١١. لسان العرب، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الأفريقى (ت:٧١١هـ)، ، دار المعارف، القاهرة ٢٠١٠م.

١٢. مجمع البيان في تفسير القرآن ، لأبي علي الفضل الحسن الطبرسي (ت٥٤٨هـ)، تحقيق لجنة من العلماء، مؤسسة الأعلمي، بيروت-لبنان.

١٣. معجم مقاييس اللغة، لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا (ت:٣٩٥هـ)، تح عبد السلام محمّد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م.

١٤. الميزان في تفسير القرآن ، للسيد محمّد حسين الطباطبائي (ت١٤٠٢هـ)، تح الشيخ أياد باقر سلمان، السيد كمال الحيدري، مؤسسة التاريخ العربي/ مؤسسة احياء التراث العربي، بيروت-لبنان.

وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ